



دلالات الأمثال والحكم في التراث العربي

(الأمثال الفصيحة في منطقة الجلفة أنموذجا)

*The connotations of proverbs and wisdom in the arab heritage
(the eloquent proverbs in the djelfa region as a model)*

أ.د. أخصري عيسى

جامعة الجلفة (الجزائر)

Aissaakhdari04@gmail.com

نويجم مسعودة

مخبر علوم اللسان – جامعة الأغواط-

جامعة عمار ثليجي الأغواط (الجزائر)

Nouidjem.messaouda@gmail.com

الملخص:

معلومات المقال

تعد الأمثال والحكم الشعبية كنزاً ثراشياً مضيئاً وشرء أدبيا وثقافيا نفيساً، لأنها تعبير عن تجربة طويلة في الحياة، كما أنها تعكس أساليب العيش والمعتقدات والمعايير الأخلاقية في المجتمع، وكيفية التعامل مع مختلف الظروف التي عرفها الناس وعاشوها على امتداد قرون متعاقبة؛ وقد تناقل الناس هذه التجارب جيلاً بعد جيل، وعبروا عنها بمختلف الأساليب، فجاءت هذه الحكم والأمثال في صور متنوعة وعلى درجة راقية من المستوى الفكري والإبداع الفني، إضافة إلى دورها في توجيه المجتمع وإصلاحه وتهذيب سلوك الأفراد، بما تتضمنه من نصائح ومواعظ يستنير بها الناس في مسيرتهم الحياتية. وفي هذا المقال سنتناول جانباً من هذه الأمثال والحكم الشعبية ونقوم ببيان أصولها ودلالاتها وأبعادها المختلفة.

تاريخ الارسال:

27 ماي 2021

تاريخ القبول:

13 جويلية 2021

الكلمات المفتاحية:

- ✓ أمثال وحكم
- ✓ شعبية،
- ✓ فصيحة

Abstract :

Article info

Proverbs and popularwisdom are a usefulheritagetreasure and a valuableliterary and cultural richness, because they express a long life experience, and they also reflect the ways of life, beliefs and moral standards in society, and how to deal with the various conditions, that people have known and lived over successive centuries; People have passed on these experiences from generation to generation, and they expressed them in various ways, therefore, these wisdom and proverbs came in various forms and on a high degree of intellectual level and artistic creativity, in addition to their role in directing society, reforming it and refining the behavior of individuals, including the advice and sermons, which enlighten people in their life career. In this article, we will deal with some of these proverbs and popularwisdom, and explain their origins, connotations, and various dimensions.

Received

27 May 2021

Accepted

13 July 2021

Keywords:

- ✓ Proverbs and wisdom
- ✓ Popular
- ✓ eloquent,

مقدمة:

عرف التراث العربي "الحكمة" و"المثل" منذ العصور الأولى وانتقلت أكثرية منها إلى عصر التدوين مع ما انتقل من تراث العرب القولي، فجمع الكثير منها في عدد من أمهات كتب التراث العربي في هذا المجال. والأمثال والحكم الشعبية هي ليست مجرد شكل من أشكال الفنون الشعبية وإنما هي دوافع مؤثرة تستحث القوة على التحرك، إضافة إلى أن المثل الشعبي له أعظم الأثر في حياة الناس وسلوك المجتمع، فالمعنى والغاية يجتمعان في كل أمثال العالم. وهذه الأمثال والحكم وإن اختلفت في تركيب جملتها أو في صلاحها أو مدلولاتها أو جدتها أو سخرتها، فهي كتاب ضخم يتصفح فيه القارئ أخلاق الأمة وعبقريتها وفطنتها وروحها.

والمثل والحكمة من الألوان الأدبية المعبرة، طريفة المنحى عظيمة الفائدة تلخص تجربة إنسانية، تتردد على ألسنة الناس جيلاً بعد جيل، وشعبية المثل مكنته من أخذ موقع جليل في نفس قائله وسامعه، وبؤاته مكان الصدارة في حياة الناس بين سائر فنون القول الشعبية، من حيث الأهمية والتأثير.

2. التعريف بالأمثال والحكم:

تأصيل لفظ المثل:

ورد لفظ المثل في معظم اللغات السامية، واشتق من جذر متقارب فيما بينها على النحو التالي: في العربية مثل، وفي العبرية masal وفي الآرامية matla وفي السريانية metals، وفي الحبشية most، وفي الأمهرية masala و messele، وفي الأكادية mesium، وفي الآشورية masala.¹

وتتضمن هذه الكلمة في جميع اللغات السامية معنى المماثلة والتشبيه، والموازنة والمقارنة كما يؤكد "أسفيلد" و"الفاخوري" و"عابدين"، باستثناء اللغة العبرية التي دل فيها على السيادة والحكم إضافة إلى المماثلة. غير أن اللغة العربية قد توسعت في مفهوم هذه الكلمة لغة واصطلاحاً وأعطتها زخماً دلالياً حافلاً.²

2.2 المثل في اللغة:

يرى اللغويون أن لفظ المثل يحمل عدة معانٍ منها:

1. الشبه، ورأى الراغب الأصبهاني (ت: 502) أن المثل بهذا المعنى يشمل المشابهة في عدة أمور هي: الجوهر، الكيفية، والكمية، والقدر والمساحة.

2. المثل والنظير والتسوية والمشاكل والمماثلة: ذهب بن منظور (ت: 711هـ) إلى أن مثل ومثل تسوية بمعنى واحد ويقول بن قتيبة المثل الشبه يقال هذا مثل الشيء ومثله كما يقال شبيه ومثله.³

المثل في الاصطلاح:

المثل قول سائر ورد في حادثة خاصة، ثم اشتهر وصار يضرب فيما يشبهها، فكل جملة شائعة مشهورة بالطابع الشعبي وتحتوي على حكمة أو على اختبار إنساني يمكن أن تدعى مثلاً، مع ما تشمل عليه من تجربة وخبرة.⁴

وذكر "الميداني" مجموعة من التعاريف في كتابه "مجمع الأمثال" تذكر منها:

قول المبرد: المثل مأخوذ من المثل، وهو قول سائر يشبه به حال الثاني بالأول، والأصل فيه التشبيه، فقولهم "مثل بين يديه" إذا انتصب معناه أشبه الصورة المنتصبة فحقيقة المثل ما جعل كالعالم للتشبيه مجال الأول. كقول كعب بن زهير:

كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً **** وما مواعيدها إلا أباطيل

فمواعيد عرقوب علم لكل ما لا يصح من المواعيد.

قول ابن السكيت: المثل لفظ يخالف لفظ المضروب له، ويوافق معناه معنى ذلك اللفظ وإصابة المعنى، وحسن و التشبيه ، وجودة الكتابة ، فهو نهاية البلاغة .

قول ابن المقفع: إذا جعل الكلام مثلاً كان أوضح للمنطق، وآنف للسمع، وأوسع لشعب الحديث.⁵
وفي تعريف مجمع اللغة العربية بالقاهرة للمثل يذكر في قاموس " المعجم الوسيط": "المثل جملة من القول منقطعة من كلام أو مرسله بذاتها تنقل من وردت فيه المشاهدة بدون تغير".⁶

وأما المثل في الفرنسية فتجده في معجم لاروس " اللغوي": "المثل حكمة معبر عنها بكلمات قليلة ثم صارت شعبية ومن هذا كله: فالمثل قول سائر تداوله الناس في المناسبات العامة والخاصة لما يشتمل عليه من تجربة وعبرة ومغزي إلى إنسانين:

أ. الإنسان العادي الذي أعطانا الأمثال الشعبية أو الدارجة وفيها صور لعقليته مثل: (سال مجرب ولا تسال طبيب)
ب. الإنسان المفكر والفيلسوف المتروي الذي يحاول تحليل المظاهر وتفسيرها واستخلاص النتيجة في قول يرسله أو مثل يضمنه خلاصة الرأي وزيرة التجربة مثل: تجري الرياح بما لا تشتهي السفن.⁷

3. تعريف الحكمة الشعبية:

الحكمة فن من فنون القول شعراً أو نثراً، وقد اشتهر بها الأدب العربي، إذ نجدها مبعثرة في قصائد العصر الجاهلي، ثم نمت حتى أصبحت فناً مستقلاً تنظم فيه القصائد الطوال. والحكمة تهدف إلى النصح والإرشاد والموعظة وتأتي تعبيراً عن تجربة ذاتية وعن طول تأمل وتبصر بأمور بالحياة، فإذا تأملنا الحكمة الجاهلية مثلاً نجدها تصلح لكل العصور ، وكذلك إذا تأملنا حكمة أجنبية (ليست كل الحكم الأجنبية) نجدها تنطبق على كل المجتمعات، ذلك أن الهدف فيها إنساني يضرب الأمثال وينبه الإنسان ويسر له طريقه ويدله على ما صلاح نفسه.⁸

فبالنسبة للحكمة الأجنبية مثلاً، وجدت في موقع من الانترنت حكمة بولونية: تبكي المرأة قبل الزواج ، ويكي الرجل بعده ؛ ولعل الكثير من المجتمعات توافق هذا المثل ، وحتى النكت السائرة حول هذا المعنى حين تلبس العروس الأبيض ويلبس العريس الثوب الأسود على أن العروس ودعت التعاسة والبكاء في حين أنّ الرجل ودع السعادة والضحك حين تحمله المسؤولية.

فالحكمة هي حادث نابع من صميم المجتمع وليست وليدة ساعة، والمثل هو حادث معين يقال فيه قول نتيجة تكرار ويحدث مع أحد الأفراد مثلاً: أحد الأمثال الشعبية يقال "حشر مع الناس عيد" وهذا مفهوم خاطئ لأن الناس ليسوا سواسية ولو قاله حكيم لكان يقول: "حشر مع المؤمنين عيد" لأنه أعطى في هذا المفهوم صفة الخصوصية وليس الشمولية. وبما أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عرف كثيراً بالحكمة فإن قيمتها عنده متأينة من أنها تخفف بالحياة وتنعم بدفع التجربة ، فهي لم تنقطع يوماً عن شخصية صاحبها ولم تخل يوماً من أن تمثل تجربة وقعت له أو حادثة اتصلت بحياته ، وإلى ذلك مرد حياتها وبقائها.⁹

نشأة الأمثال والحكم:

الأدب العربي حافل بالحكم والأمثال منذ أوائل عصوره، ولا عجب في ذلك، فالعرب ساميون، ومن الأمم الشرقية، والشرق مهد الحكمة والمثل، منه انبثقت الديانات، وفيه طلعت أعظم الحضارات .

وقد تطور هذا الفن من الفنون الأدبية وكان " وشي القول وجوهر اللفظ وحلى المعنى " وقد عده بن عبد ربه " أبقى من الشعر ، وأشرف من الخطابة ، لم يسر شيء مسيره ولا عمومه حتى قيل: أسير من مثل.

وقد جمع لنا الضبي "كتاب الأمثال" (786م)، وأبو هلال العسكري جمهرة الأمثال (1005م) وللميداني مجمع الأمثال (1234م)، وطائفة من الأمثال والحكم تُردّ إلى العصر الجاهلي ، منها هذه الأقوال:¹⁰

- في الجريرة تشترك العشيرة .
- لاناقة لي فيها ولاجل .
- دعوا دما ضيعه أهله
- أنصر أخاك ظالما أو مظلوما .

من هذه الأمثال وغيرها كثير جد، يتضح لنا أن العرب في العصر الجاهلي قد عرفوا الأمثال والحكم بأنواعها جميعا وأن هذه الحكم منها ما ينسب إلى قائل معروف ، كحكم "أكثم بن صيفي" ، ومنها ما يجهل قائلها ، شأن كثير من الأمثلة المتداولة ؛ وإن الناظر في الأمثلة الجاهلية بصفة عامة يلحظ ما يلي :¹¹

- تعبر عن الكثير من مظاهر الحياة في الجزيرة (حروب وعزة نفس وعصبية قبلية) وأنها تصور جانبا من أخلاق الناس وعاداتهم (شجاعة شرف كرامة واستخدام القوة وأخذ الثأر).
- أنها تكثر في ما هو من ضرورات البيئة (الإبل . الصحراء . الرمل والناقة والجمال)
- أن معظمها قوي العبارة ، صائب المعنى ، دقيق التشبيه ، حسن الإيجاز يتم بالكلمة الجامعة والإشارة الخاطفة والصورة المركزة

أهم مصادر الأمثال والحكم:

ذكر "الميداني" في مقدمة كتابه مجمع الأمثال " أنه طالع من كتب أئمة الأعلام ما امتد في تقصيه نفس الأيام مثل كتاب أبي عبيد ، والأصمعي وأبي زيد ، وأبي عمر وأبي فيد ونظرت فيما جمعه المفضل بن محمد والمفضل بن سلمة ، حتى لقد تصفحت أكثر من خمسين كتابا وتخلت ما فيها فصلا فصلا وبابا ، بابا مفتشا عن صوابها زوايا البقاع ...ونقلت ما في كتاب حمزة بن الحسن إلى هذا الكتاب إلا ما ذكره من خرزات الرقي وخرفات الإعراب ، والأمثال المردوجة لاندماجها في تضاعيف الأبواب ، وجعلت الكتاب على نظام حروف المعجم الألفبائي.¹²

أما في المراجع المتأخرة زمنيا من المصادر الأولى في الأمثال والحكم كمرجع " من أمثال العرب ، وغيرها من المراجع فنجدها تورد في الأخير. أهم المصادر والمراجع المعتمد عليها ولعل أهمها هي:¹³

- ✓ "الإمتاع والمؤانسة" لأبي حيان التوحيدي . .
- ✓ "أمثال العرب" للمفضل الضبي .
- ✓ "تمثال الأمثال" أبو المحاسن العبدري .
- ✓ جمهرة الأمثال "أبو هلال العسكري .
- ✓ "حداائق الأزاهر" لابن عصام الغرناطي .
- ✓ "زهر الأكم في الأمثال والحكم" الحسن اليوسي.
- ✓ "العقد الفريد" لابن عبد ربه .
- ✓ "الفاخر" المفضل بن سلمة .
- ✓ "فصل المقال في شرح كتاب الأمثال" أبو عبيد البكري .
- ✓ لسان العرب لابن منظور¹⁴ .

أبعاد الأمثال والحكم وميزاتها :

البعد النفسي والاجتماعي والأخلاقي للأمثال والحكم :

تتعدد الأبعاد التي تمثل خلفية صناعة المثل أو دوافع استخدامه لكن أغلب تلك الخلفيات تتمثل في أسباب نفسية لدى و الفرد أو حاجة اجتماعية للبحث على مثل ذلك السلوك أو الإعلاء من تلك القيمة بوصفها قيمة أخلاقية إيجابية والتحذير من سلوك آخر أو الحط من القيمة بوصفها قيمة أخلاقية سلبية.

وفي مجال المناطق الشعبية في بيئة الدراسة المحددة في أغلب الدول العربية حتى وإن اختلفت في نطق بعض الكلمات أو حتى في استعمال المفردات نفسها فأهمية الأمثال ترجع لما قد تحتويه من دلالات تتعلق بتاريخ فترة من الفترات في عمر الأمة العربية بل وأثر الأحوال السياسية والاقتصادية على فكر العامة من ناحية والخاصة من ناحية أخرى .

فهناك من عوامل أهمية الأمثال العربية دلالتها الاجتماعية ، وإفصاحها عن كثير من العادات والتقاليد والأعراف الاجتماعية ، وهي دراسة أنثروبولوجية يعتد بها كثيرا في الكشف عن هيئة البنية الاجتماعية في عصر من العصور .

وربما تكشف الأمثال جانبا خطيرا من جوانب " المزاج العام للعصر the spirit of the age " قد لا تستطيع الدراسات التاريخية أو الاجتماعية المباشرة الكشف عنها، وهذا " المزاج العام للعصر لا تحدده مجموعة الحوادث التاريخية، ولا تكشف عنه بقدر ما تحدده ردود الأفعال المباشرة من جمهور الناس تجاه تلك الحوادث ونحوها".¹⁵

فالأمثال تمثل خلاصة التجارب اليومية وتميل إلى التوجيه الأخلاقي والتعليمي، وهو مقياس لسلوك الناس وقيمهم، فمن خلال الأمثال يكمن البعد النفسي والاجتماعي والأخلاقي لكل مجتمع لأن من مميزات الأمثال أنها لا تنحو (تميل) إلى الخيال أو إلى الدعوة إلى ترداد الأخلاق صعبة المنال وهي تمتاز بالواقعية أكثر شيء .

ودلالات الأمثال كثيرة جدا فمنها ما يقال للدلالة على التسليم بقضاء الله ومنها ما يقال للدلالة عن أهمية كل فرد ومكانته عند المقربين وإن سقط في الأعين الأخرى ، وللدلالة على العجز والاستسلام ، والنفاق وعدم الالتزام والاستسلام ، وفي باب إقفال باب الطموح وتبادل المصالح ... وغيرها¹⁶.

ومنها ما يدعو إلى التحلي بالأخلاق الفاضلة وترك الرذيلة والحث على العمل والإتقان فيه والابتعاد عن الطيرة لأنها باطلة، وعلى الأخذ بعبرة الإنسان الجرب، والحث على الرجوع إلى الأصل والصبر على الحاسد والحث على والقناعة والرضا بالقدر خيريه وشره ... إن نماذج القدوة في المجتمع تُعَبِّد الطريق نحو فلسفة القيم الأخلاقية في إطار يتماها مع الحقيقة المطلقة ، وتصبح الأمثال والأقوال السائرة منهلا للراغبين في تمثل تلك النماذج.

فهناك أمثال قد نستعجها لأول مرة مثل: " أحبيني اليوم وأقتلني غدوة "، دون معرفة سبب إلقاء هذا المثل لأول مرة ولهذا الأمثال هي صريحة حتى عن سلبيات المجتمع ، وتعكس حتى بعض الأخلاق السيئة السائدة فيه، أما البعد الأخلاقي وخصوصا في الجانب الديني فيظهر في العديد من الأمثال نذكر من بيتها "علمتوا الوضوء فاتني للجامع" فلا أظن أنه من الممكن أن يكون قد صدر هذا المثل من غير المسلم فللهولة الأولى عند سماعه يفهم أن قائله الأول قد عرف الوضوء والصلاة ، ديني بعد صدر الإسلام زمنيا ومن أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، في حين أننا نجد في مقابل هذا المثل الشعبي مثلا فصيحاً الا وهو "لما اشتد ساعده رماني" فهو يضرب لمن يسيء إليك ، بعد سابق فضلك وإحسانك عليه وهذا المثل مستورد من قول الشاعر:

فيا عجبا لمن ربيته طفلا **** ألقمه بأطراف البنان
أعلمه الرماية كل يوم **** فلما اشتد ساعده رماني
وكم علمته نظم القوافي **** فلما قال قافية هجاني

أعلمه القوة كل وقت * فلما طر شاربه جفاني¹⁷

والواضح في هذه الأبيات أن في العصر الجاهلي الذي تكثر فيه الرماية وتعليمها ونظم القوافي جعلها أدلته في نكران الجميل لمن رباه ولعلنا نلمس أيضا في البيت الأول مثالا شعبيا مقابله هو: "يا مربي ولد الناس ، ياداق الماء في المهراس " "ساس الرمل لا تعلية ، ولا تعمق في ساسو، وولد الناس لا تربيه ، يكبر ويروح لناسو" .

والواضح أيضا في المثل الأخير عدم نجاح تربية غير أولادهم في هذا المثل هم يحذرون من تربية الأطفال غير أولادهم وهم يدعون إلى نبذ التبني .

مميزات الأمثال والحكم:

المثل كغيره من التعبيرات الأدبية له طبيعة تميزه عن غيره وهي المورد والمضرب .

- **المورد** : ويقصد به الموقف أو القصة الأولى التي قيل فيها وسبق بها .
- **المضرب** : وهو السياق الذي أعيد إنتاجه من خلاله لهذا وجدنا لعدد من الأمثال قصصا تفسر أصل الوضع. غير أن أغلب الأمثال فقدت أصل هذا المثل بسبب طبيعة التبادل الشفوي غير أنها ظلت حية ومتداولة بينها هناك تغيرات أخرى تحقق فيها الشرط الجمالي ولم يتجاوز الموقف الذي قيلت فيه أول مرة¹⁸.
- والمثل يتميز بعدد من الميزات والتي أجمع عليها الباحثون حتى وإن اختلفت في الفروع إلا أنها نفسها في الأصول فالمثل و يعتمد في أسلوبه على ثلاثة عناصر:¹⁹

* **الإيجاز** : الذي ساعد على اكتنازه في الذاكرة وتسهيل حفظه على الجمهور .

- وفرة الإشارات الأسطورية والقصصية والتاريخية التي يحتزلون بها المعاني الكثيرة . (يا صبر أيوب ، ولا حكم قراقوش)

- جمال الصياغة، ويتأتى أحيانا من استعمال بعض المحسنات:

أ. السجع : اليوم خمر وغدا أمر.

ب. و اتخاذه شكل الحوار القصير .

ج. أو فكاهته (تقيل واسمه صخر بن جبل) ويقصد هنا اسم على مسمى.

د. أو صورته الخيالية الرائعة (يفزع من خيال أذنيه).²⁰

وهنالك من يضيف إلى ميزات المثل:

* الشيوخ والتداول .

- وهو متميز أيضا بحسن التشبيه ولا يخفى أن حسن التشبيه مطلب بلاغي بدأ به بن المعتز " بديعه للدلالة على أنواع البلاغة " البديع .

- ويتميز بوجود الكناية وبهذا يصبح قيمة البلاغية وقيمتها في الدلالة على المعنى المراد والصيغة المطلوبة ، وقد ورد ذكره في القرآن في أكثر من موضع « يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له »²¹ وقوله أيضا : «ضرب الله مثلا رجلين»²² .

الفروق المحلية بين الأمثال والحكم:

عرف التراث العربي "الحكمة" و"المثل" منذ جاهليته الأولى، وانتقلت أكثرية منها إلى عصر التدوين مع ما انتقل من و تراث العرب القولي وعلاقة المشاهدة بين "الحكمة" و"المثل" تأتي من مرحلتها المعنوية الأولى من حيث تعبيرها عن محتوى التجربة والخبرة الحياتية . ولكن "المثل" يزيد عن "الحكمة" درجة في أنه أكثر عمقا وشمولية من النظر الفردي للحكمة" والحكمة تفيد معنى واحد من نهي أو

أمر أو إرشاد ، وإن المثل يفيد معنيين معنى ظاهر أو معنى باطنا، أما الظاهر فهو حدث من أحداث التاريخ أو ما إلى ذلك ، وأما الباطن فمرجعه إلى الحكمة والإرشاد .²³

إن العلاقة بين المثل والحكمة كلمة يرسلها صاحبها بتعبيرها عن حقيقة من حقائق الحياة في دقة وإيجاز وإصابة في المعنى ، وهي تلقي مع المثل في عدة خصائص تجعل العلاقة بينهما وثيقة ؛ ومع ذلك فإنه من المتفق عليه أن ليس كل مثل حكمة ولا كل حكمة مثل فقولهم: "احذروا صولة الكريم إذا جاع واللقيم إذا شبع" حكمة لأمثل ، وقولهم : "هو لاني العير ولا في النفير" مثل لاحكمة ، وقولهم : "يد الله مع الجماعة" الحكمة ومثل .

وذلك أنه يلحظ في المثل - عادة - الإيجاز والمغزى والطعم اللاذع أو الروح الساخرة والذيع أو الشعبية ، وبعضها ما يشترط في الحكمة وبعضها ما لا يشترط:²⁴

١- كالمطعم اللاذع فإنه شرط في المثل لا في الحكمة وهو العنصر الفكاهي فيه الذي ينتقد الحياة ويسخر من جانب من جوانبها وهو الذي يجعل للمثل قوة التأثير وسهولة التعلق بالذاكرة .

٢- وشرط الشعبية لا بد منه في المثل دون الحكمة فالمثل لا بد بأن يدمغ بدمغه الشعبية ليكون مثلاً .

٣- ثم إن صحة المعنى ومطابقته للحقيقة يلحظان في الحكمة أكثر مما يلحظان في المثل فالمثل يدل على وجهة نظر صاحبه أكثر ما يدل على صحة معناه .

٤- والأمثال أكثر تأثيراً في الشعب من الحكمة، لأنها نبعت منه ووعيت في ذاكرته واحتضنها في قلبه ..

٥- والأمثال نتاج الشعب وبهذه الصفة من الطبيعي أن يختلف مصدرها ، ونوع المثل من الشعب أضفى عليه حلة مميزة هي اختفاء القاتل وظهور المقول ، فكأن الشعب يريد أن يحتفظ في المثل بملكه العامة .

نماذج من الأمثال والحكم :

زخر الشعر العربي بالحكم المستمدة من واقع الحياة العربية بالإضافة لما استمدته الشعراء العرب من الكتب المترجمة الغنية بالأمثال والآداب، فاقتبسوا منها ونظموا على منوالها. وقد ظهر فرق بين حكمة الشبان وحكمة الشيوخ والشبان يدعون إلى الملذات لأن العمر قصير بنظرهم ، والشيوخ يدعون بفعل تجاربهم لتأمل ما وراء الموت .

ولقد اخترنا هاته المقتطفات الهادفة التي تجدها في الكتب مبوبة كالآتي:²⁵

في باب الحسد :

(ناصر اليازجي) :

عليك بالشكر للمعطي على هبة ***** ودع حسودك يشوي فلذة الكبد

لو كان يفعل في ذي نعمة حسد ***** لم ينجح ذو نعمة من غائل الحسد

ابن المعتز:

اصبر على كيد الحسود ***** فإن صبرك قاتله

كالنار تأكل بعضها ***** إن لم تجد ما تأكله

باب الخيانة:

يقول بشار بن برد:

يعطيك من طرف اللسان حلاوة **** ويروغ منك كما يروغ الثعلب

الإمام علي رضي الله عنه :

ولا خير في ود امرئ متلون **** إذا الريح مالت مال حيث تميل

باب الصداقة :

قال أبو العتاهية :

أصبح ذوي الفضل وأهل الدين **** فالمرء منسوب إلى العرين

ويقول ناصيف اليازجي:

أعدى العداة صديق في الرخاء فإن **** طلبته في أوان الضيق لم تجد

باب الجد والاجتهاد :

أبو تمام:

بصرت بالراحة الكبرى فلم ترها **** تنال إلا على جسر من التعب

و أحمد شوقي :

بقدر الكد تكتسب المعالي **** ومن طلب العلا سهر الليالي

باب تقلبات الدهر :

الإمام علي رضي الله عنه:

رأيت الدهر مختلفا يدور **** فلا حزن يدوم ولا سرور

الشافعي :

ولا حزن يدوم ولا سرور **** ولا يؤس عليك ولا رخاء²⁶

باب التربية :

الإمام علي رضي الله عنه:

النفس كالطفل إن تهمله شب على **** حب الرضاع وإن تفتطمه ينفطم

ابن عبد القدوس:

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه **** وصدق ما يعتاده من توهم

حتيتراه مورقا ناظرا **** من بعد ما أبصرن من بيس

باب العقل وحسن الرأي :

بن دريد :

و آفة العقل الهوى فمن علا **** على هواه عقله فقد نجا

بشار بن برد :

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن **** برأي لبيب أو نصيحة حازم

باب التعاون والاتحاد :

تأبى العصي إذا اجتمعن تكسرا **** وإذا افترقن تكسرت أحادا

باب الكتاب:

المتنبي:

كتابي لا يباع ولا يعار **** لأن إعارة المحبوب عار

باب الكلام واللسان:

زهير بن أبي سلمى:

وكأن ترى من صامت لك معجب ***** زيادته أو نقصه في التكلم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده **** فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

باب القناعة:

ناصر بن اليازجي:

لعمرك ليس فوق الأرض باق **** ولا أمل قضاه الله واق

المعتد بن عباد:

اقنع بحظك في دنياك ما كانا **** وعز نفسك إذا فارقت أوطانا

باب الحذر:

المتنبي:

إذا رأيت نيوب الليث بارزة **** فلا تظن الليث يتسم

باب حتمية الموت:

الفرزدق:

مشيناها خطيكتبت علينا **** ومن كتبت عليه خطي مشاها
ومن كانت منيته بأرض **** فليس يموت في أرض سواها

باب الشجاعة:

المتنبي:

إذا لم يكن من الموت بد **** فمن العجز أن تموت جبانا

باب البخل:

الشافعي: ولا ترجو السماحة من بخيل * فما في النار للظمان ماء

باب العلم والجهل:

الإمام علي رضي الله عنه:

ليس اليتيم الذي قد مات والده **** إن اليتيم يتيم العلم والأدب²⁷

نماذج من أجمل الأمثال التي تداولتها الأمم عبر الأجيال:

تكاد الأمثال العربية أن لا يكون لها حصر ففي كل أرض تنطق اللغة العربية، هناك عشرات ومئات الأمثال ، وبين طيات أي كتاب من كتب التراث العربي. هناك عشرات ومئات أخرى منها، وتكاد الأمثال العربية أن تشبه بجرا سحيق الأغوار، وكلما غصنا فيه استخرجنا منه لآلى جديدة . وهذا لوجود أمثال غريبة نذكر منها :²⁸

✓ اختيار الكلام أصعب من تأليفه "طاغور"

✓ لو كانت اللحية مصدر ذكاء لكانت العنزة فيلسوفا . "مثل أمريكي" .

✓ السرج المذهب لا يجعل من الحمار حصانا . "مثل أمريكي" .

✓ فاقد الجرأة ينبغي أن لا يشتكي من سوء حظه . "مثل هندي" .

✓ كون الرخام لامعا ومصقولا لا يقلل من صلابه . "مثل أمريكي" .

✓ تغرق الباخرة غالبا قرب المرفأ . "مثل ألماني" .

✓ لا تعطني سمكا ولكن علمني كيف أصطاده . "مثل صيني" .

وغيرها كثير ولعل بعضها يقترب كثيرا من بعض الأمثال العربية ، أما بالنسبة للأمثال الشعبية المصرية واللبنانية فكثيرة، ونجد التشابه الكبير بينها وبين الأمثال الشعبية الجزائرية والفاوق يمكن أن يكمن في النطق ذاته أو في تغيير بعض المصطلحات الدلالية (هناك أكثر من دال لنفس المدلول) ، وكما نعرف أن لكل مثل قصة فهذا نجده في الكتب مبنوبة حسب حروف المعجم الهجائية واخترنا منها :²⁹

✓ أول ما اخترناه هو من قول الرسول صلى الله عليه وسلم : إن من البيان لسحرا ، يضرب في استحسان المنطق وإيراد الحجة البالغة

✓ ان الحديد بالحديد يفلح , يستعان في الأمر الشديد بما شاكله وتقاوبه .

✓ إن الحماة أولعت بالكنة ، وأولعت كنتها بالظنة، بين الحماة والكنه عداوة مستحكمة .

✓ " إياك أعني واسمعي يا جارة" يضرب بمن يتكلم بكلام ويريد به شيئا غيره .

✓ أكل وحمد خير من أكل وصمت ، يضرب الحث على حمد من أحسن إليك."

✓ آبداهم بالصراخ يفروا ، يضرب في من يبدأ معركة بالصراخ والزعيق ليخيف من أمامه

✓ أبي يغزو وأمي تتحدث ، يضرب لمن يتباهى بفعل غيره .

✓ إذا تفرقت الغنم قادتها العنز الجرباء . يضرب في تفرق القوم ويحكمهم من ليس أهلا لها * إذا جاء القدر عمى البصر ، يضرب بالرضا بالقدر الذي لا يصره الأبصار .

✓ إذا ضاق الأمر اتسع ، يضرب في حال شدة الأزمة على أنها ستفرج.

✓ إذا لم تستح فافعل ما شئت ، يضرب في ذهاب الحياء

✓ أرسل حكيمًا ولا توصيه ، يضرب في حال اختيار الرسول فالحكيميجيد التعبير .

✓ أكلت يوم أكل الثور الأبيض ، يضرب في من يعطي غيره الفرصة لينال منه .

✓ بحثت عن حتفها بظفرها ، يضرب الشيء الذي يتسبب في هلاك صاحبه .

✓ بيتي بخيل لا أنا، يضرب لمن ليس في طبعه البخل ، لكنه يعجز عن مسلك الكرام لفقره

✓ حيلة من لا حيلة له الصبر ، يضرب لمن ليس في استطاعته فعل شيء غير الصبر .

✓ شهر ليس لك فيه رزق لا تعد أيامه ، يضرب لمن يهتم بأمر ليس له فيه منفعة .

✓ فم يسبح وإيد تذبج ، يضرب لمن كان حلو اللسان سيء الأفعال .

✓ وقد ظل من كانت العميان تهديه، يضرب للتعذير من الاسترشاد بضعيف الرأي .

✓ اليوم خمر وغدا أمر ، يضرب لمن يسترسل في مرحة لهوه في يومه ، ويستعد للقيام بمهام صعبة وجدية في غده.

✓ الذئب للضبع ، يضرب في قريني السوء .

✓ رب أخ لك لم تلده أمك ، يضرب فيمن يستحق أن يكون أخا بجدارة لكنه ليس باخ حقيقي * زلة الرأي تنسي زلة القدم ، يضرب في السقطة تحصل من العاقل الحازم .²⁹

الأمثال الفصيحة وكيفية تداولها في منطقة الجلفة :

1. اختلط الحابل بالنابل، فقلوه بالدارجة "اتخلطت واتخلطت وطلع خرها فوق ماها". ولعل لهذا المثل بعد اجتماعي واضح وأساسه الاختلاط .

2. العبد يقرع بالعصا، والحر تكفيه الإشارة بالدارجة : "الحر من قمزة و البلهوث من دبزة " وهذا المثل له بعد نفسي وأخلاقي حول العقلية المختلفة في الناس .

3. بيتي أستر لعوراتي ، نقول : " داري تسترعاري " وله بعد نفسي في الأنفة والعفة التي يمتاز بها العربي .

4. جوع كلبك يتبعك . نقول : بطو يعرفك . له بعد اجتماعي على أن هذا المجتمع (أفراد المجتمع) لا يؤخذ بالدين بل بالقوة .

5. جاور بجرا أو ملكا ، ونقول : "جاور طالب تولي طالب ، جاور فلعوص تولي فلعوص . هذا المثل اجتماع على أن الجار له تأثير كبير على جاره فلا بد لنا من اختياره ، وفي هذا المعنى أيضا أبيات شعرية لكن قائلها مجهول:

يلومني إن بعث بالرخصداري **** ولم يعلموا جارا هناك ينغص

فقلت لهم كفوا الملامة فإنما **** بجيرانها تغلوا الديار وترخص

وبهذا الصدد قول مثالا آخر : " اشري الجار قبل الدار ."

6. وافق شن طبقة . وتقول : " مغرف ولقات ختها " . وهذا المثل يتمثل في البعد النفسي الواضح بين ائتلاف الأشخاص وتطابقها على بعضها البعض .

7. رب زارع لنفسه حاصد لغيره . فنقول : " أخدم يالتاعس للراقد الناعس " . المثل يجسد البعد الاجتماعي حول العمل الذي و لا يستفيد منه صاحبه بل غيره الكسول .

8. الدراهم مراهم . وتقول : " عندك دوروتسوى ما عندكش ما تسواش " . لهذا المثل بعد اجتماعي واضح حول ظاهرة القيمة الاجتماعية لأصحاب المال و النفوذ .

9. الطبع أملك من العادة . نقول : " السكة جبل والجبل ما يتحول " . لهذا المثل بعد أخلاقي حول طبيعة المرء التي جبل عليها بالسليقة فتحوّلت إلى سمة لا تغير .

10. الطيور على أشكالها تقع . وتقول : " الطيور على أشكالها " . له بعد أخلاقي حول عقليات الناس المتشابهة والتي تظهر مع أشباهها ولعل هناك من يقول " ما اجمعو حتان تشابهو " .

11. جسم البغال وأحلام العصافير . وهذا المثل الفصيح يأتي من قول حسان بن ثابت :

لا بأس بالقوم من طول ومن عرض **** جسم البغال وأحلام العصافير

وأما عندنا بالدارجة فتقول : " الطول والعرض والفايدة قاما يجيب ربي " وتقال في الأحمق كبير الجسم . وبهذا بعد نفسي و نجده فيمن هو ضخمة الجثة ولكن العقل أصغر بكثير .

12. عادت لعترها لميس ، ونقول : " عادت ريمة لعادتها القديمة " . فالمثل له بعد أخلاقي ولا يبتعد كثيرا عما ذكرناه في الطبع فالعادة بتكررها أشبه بالطبع .

13. من تفافر افتقر. وهو مثل للرسول (ص) ونقول: "واه واه واللي يقول على شي راه جاه". والبعد أخلاقي من وازع ديني وهو جحد النعمة التي من الله بها علينا وعدم الشكر ومن هذا المثل تنبع الحكمة: من كان في نعمة ولم يشكر خرج منها ولم يشعر.
14. شر البلية ما يضحك. ونقول: "هم يضحك وهم يبكي" من الأمثال التي تداولت البعد النفسي وذلك من هوفي أشد همومه يتلقاها بالضحك أو أن الهم في حد ذاته يضحك.
15. كالإبرة تكسو الناس وجسمها عريان. ونقول: "نجار و بابو مخلع". بعد نفسي وواقعي جدا بحيث نجد أنه وإن لم أقل دائما فهو غالبا ما يكون صاحب صنعة ولا يستفيد منها لذاته أو بخل بها على نفسه وهناك من يقول "زجار وعشاه لفت".
16. تعطي العبد الكراع فيطمع في الذراع. ونقول: "مدلو صبعك يطمع في ذراعك". له بعد أخلاقي ويمكن أن يرتقي إلى البعد الاجتماعي حول ظاهرة الطمع المتفشية.
17. الحر عبد إذا طمع والعبد حر إذا قنع. ونقول: "القناعة كنز لا يفنى". يتقابل مع المثل الذي قبله إلا أنه يعاكسه في الاتجاه فهو يعالج الطمع بالقناعة.
18. الصناعة في الكف أمان من الفقر. ونقول: "صناعة البدين خير من مال الجدين" أو "تبقى صنعة البدين ويفنى مال الجدين". بعد اجتماعي واضح حول الحث على العمل الذي لا يزول مثلما يزول المال.
- من العدد الهائل والغير المصور من الأمثال العربية الشعبية، إلا أن تراثنا لم يخلو يوما من الحكمة التي كان يسد بها لبعضها البعض. فمن الحكم النصيحة العربية ما تداولته شفها المنطقة ولا زالت كذلك نورد منها:

ففي مجال البخل نجد قول الشافعي: ³⁰

ولا ترجو السماحة من بخيل **** فما في النار للظمان ماء

أما في منطقتنا فنقول: "فاقد الشيء لا يعطيه".

لا تنه عن خلق وتأتي مثله **** عار عليك إذا فعلت عظيم

ونقول: "ينهي على المنكر وييات يكر".

قول الإمام علي رضي الله عنه:

النفس كالطفل إن أهمله شب على **** حب الرضاع وإن تفضمه ينفطم

وتقول: إن من شب على شيء شاب عليه، والعلم في الصغر كالنقش على الحجر.

قول ابن المعتز:

اصبر على كيد الحسود **** فإن صبرك قاتله

كالنار تأكل بعضها **** إن لم تجد ما تأكله

ونقول: "إللي تقشو ما تقشو"، يعني من عداك على حسد فصبرك عنه أكبر رد منك.

دواء الدهر الصبر عليه. الصبر مفتاح الفرج. وتقول: "الصابر جابر من رحمة النوال ينول، اصبر تجبر".

وفي باب الظن والشك يقول المتنبي:

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه **** وصدق ما يعتاده من توهم

ونقول إن الخائن شكاك والأبرص حكاك، على أن الخيانة تسري في عروقه فظنونه بالناس دائما سيئة.

وفي باب الحذر يقول المتنبي:

إذا رأيت نيوب الليث بارزة **** فلا تضنن الليث يبتسم

وتقول: "ليس كل ما يلعب ذهب" والمغزى أن الظاهر ليس دائما يعكس الحقيقة نفسها .
 . في باب التعاون والاتحاد:

تأبى العصي إذا اجتمعن تكسرا **** وإذا افترقن تكسرت أحادا
 وتقول: " المعونة تقلب السبع " و "زوج يقبلولو كان يلعبو " . والمغزى أن الغلبة دائما في التلون .
 في باب الشجاعة نجد المتنبي:

إذا لم يكن من الموت بد **** فمن العجز أن تموت جباناً
 وتقول: "موت العزة ولا حياة الذل " و "نهار فروج ولا عشرة دجاجة". على أن الشجاعة حتى في الموت .
 . بنات حواء أعشاب وأزهار * فاستلهم العقل واعرف كيف تختار
 فلا يغرنك الوجه الجميل * فكم من الورود سم وفي الأعشاب عقار
 وتقول: لا يغرك نوار الدفلة في الواد داير ظلاليل ، ولا يعجبك زين طفلة حتان تشوف الخصايل . ويحث على أن المظاهر خداعة
 ولا بد أن لا ينخدع بها الانسان .

الخاتمة:

إذا كان المثل الشعبي هو حادث معين يقال فيه قول نتيجة تكرر يحدث مع أحد الأفراد ، فإن الحكمة هي حادث نابع من صميم المجتمع، وليست وليدة ساعة. والأمثال أوسع وأكثر من الحكم صيتا وتداولاً ولدي العامة والخاصة، ولأن المثل يزيد عن الحكمة درجة في أنه أكثر عمقا وشمولية من النظر الفردي للحكمة والحكمة تفيد معنى واحد من نهي أو أمر أو إرشاد وأن الممثل يفيد المعنيين ، معنى ظاهر وآخر باطن ، أما الظاهر فهو حدث من أحداث التاريخ أو ما إلى ذلك، وأما الباطن فمرجعه على الحكمة والإرشاد .
 ومن الأمثال الشعبية ما تفرزها حكاية أو نكتة شعبية، وقد يستعمل المثل بين الناس ولا يعرف قائله ومنها ما اقتبس عن الفصحى بنصه أو شيء من التغيير الطفيف على لغتها واستمدت من كتب التراث الأدبي أو من الأغاني الشعبية، وكذلك ما هو عبارة تجارب وممارسات متعددة كانت تلجأ إليها بعض الشعوب، وهناك أمثال تحمل بصمات معتقدات قديمة جدا، مما يشير إلى قدم هذا التراث الذي وصلنا، وهناك أمثال تحمل ملاحظات دقيقة لأعماق النفس البشرية، أو التجربة الإنسانية العامة ولا شك بأن هناك أمثالا مستمدة من خلال التعامل مع الشعوب والثقافات الأخرى.
 وقد اهتم العرب بجمع الأمثال والحكم فجمعوها في كتب اعتنت بذلك منها: مجمع الأمثال للميداني، العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي... وغيرها، وكثير من الأدباء واللغويين حرصوا على جمع الأمثال الشعبية المعروفة في زمنهم خوفا عليها من الضياع والاندثار فقد اعتبروها إرثا لغويا تركه أجيال سبقت زمانهم وزماننا وتناقلها الناس عبر الأجيال إلى يومنا هذا .

المصادر و المراجع :

- 1- الحسن اليوسي: زهر الاكم في الأمثال و الحكم. تح : د/محمد حجي و د/محمد الأخضر. ط1. 1981/1401, دار الثقافة , المغرب, ص21.

- 2- المرجع نفسه، ص 22.
- 3- ابن منظور : لسان العرب ، ط 1، المطبعة الميرية ببولاق ، مصر ، 1302 هـ ج 4، ص 610.
- 4- جوزيف الهاشم ، احمد أبو سعد، احمد أبو حافة: المفيد في الأدب العربي، منشورات المكتبة البخاري للطباعة و التوزيع و النشر، بيروت ط 1، ج 1، ص 210.
- 5- مجمع الأمثال للميداني: تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية صيدا، بيروت 1419/1998، ج 1، ص 65.
- 6- جوزيف الهاشم ، احمد أبو سعد، احمد أبو حافة: المفيد في الأدب العربي، ص 210-211.
- 7- حسين علي الهنداوي: موسوعة تاريخ الأدب و النقد و الحكمة العربية ، المجلد الأول، ص 355.
- 8- المرجع نفسه، ص 356.
- 9- المرجع نفسه، ص 356.
- 10- محمود إسماعيل صيني، ناصف مصطفى عبد العزيز: معجم الأمثال العربية، مكتبة لبنان، ط 1، 1992، ص: ط-ي
- 11- حسين علي الهنداوي : موسوعة تاريخ الأدب و النقد و الحكمة العربية، ص 356.
- 12- مجمع الأمثال للميداني: تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ص 215.
- 13- كمال خلايلي: معجم كنوز الأمثال و الحكم العربية (النثرية و الشعرية)، ط 1، 1998، ص: ز
- 14- المرجع نفسه، ص : ز
- 15- احمد عبد الغفار عبيد: أمثالنا الموروثة قيمتها الأدبية و الفكرية و دلالتها على شخصية الإنسان العربي، ص 87.
- 16- محمد التونجي : المعجم المفصل في الأدب، ط 2 ، 1999/1419، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ص 758.
- 17- المرجع نفسه، ص 759.
- 18- حليتم لخضر: الأمثال الشعبية الجزائرية بين التأثير و التأثير دراسة تناصبة دلالية، ص 37.
- 19- المرجع نفسه، ص 38.
- 20- المرجع نفسه، ص 38.
- 21- سورة الحج الآية 85.
- 22- سورة النحل الآية 86.
- 23- روجي البعلبكي: معجم روائع الحكمة و الأقوال الخالدة، ط 3 ، 2001، ص 211.
- 24- المرجع نفسه، ص 212.
- 25- علي الجندي: في تاريخ الأدب الجاهلي ، مكتبة التراث ، ط 1 ، 1412-1991، ج 1 ، ص 262.
- 26- المرجع نفسه، ص 263.
- 27- المرجع نفسه، ص 264.
- 28- محمود إسماعيل صيني، ناصف مصطفى عبد العزيز: معجم الأمثال العربية، ص : ي
- 29- المرجع نفسه ، ص : ي
- 30- المرجع نفسه، ص: ي